جامعة محمد بوضياف كليـــة العلوم الاجـــتماعية و الانســـانية
قسم التاريخ
مقياس النشاط الحرفي و التجاري بالأندلس
السنة الأولى تاريخ وسيط الـــــسنة الجـــامعة : ٢٠١٩/٢٠٢٠
تحت إشراف : د. عبد السلام همال

محاضرة السِكة في الأندلس :

كان العرب المسلمون قبل العهد الأموي يتعاملون بالدراهم الفضية الساسانية و الدنانير الذهبية البيزنطية إلى أن جاء الخليفة عبد الملك بن مروان (65هـ ٦٨٤م /٨٦هـ ٧٠٥م) فضرب على الأغلب سنة ٧٦هـ /٦٩٥ م الدنانير و الدراهم العربية و ضربت السكة في كل حواضر العالم الإسلامي في العصور الوسطى شرقا و غربًا ، في الشام و العراق و بلاد فارس و مصر و شمال إفريقية و الأندلس و غيرها .
و يبدو أن أول عملة عربية إسلامية ضربت في الأندلس ، تمت أثناء الفتح الإسلامي تحت قيادة موسى بن نصير أو بعده مباشرة ، ففي عبارة لا تخلو من دلالة كتب ليفي بروفنسال :"و استخدم الحاكم العربي دار سك العملة في طليطلة التي كانت تابعة لملوك القوط القدامى في سك عملة ذهبية .

و الظاهر أن هذه العملة ضربت سنة ٩٣ هـ/٧١١م وهي جديرة بالاهتمام في حوليات الإسلام لأنها تحمل تاريخ فتح العرب لشبه الجزيرة الايبرية ثم تلتها عملة ذهبية ضربت في عهد الوالي الحر بن عبد الرحمن سنة ٩٨هـ ، ٧١٨ م، وإذا كانت أهمية العملة التي ضربها الوالي موسى بن نصير ترجع لكونها أرخت للفتح ، فإن عملة الوالي الحر تعود أهميتها القصوى لكونها حملت تسجيل مكان الضرب و نعني به مصطلح الأندلس الذي أطلقه العرب على هذا الجزء الأوربي الذي تم فتحه .
العبارة الشائعة و المتداولة بين دارسي تاريخ الأندلس هي أن الأمير عبد الرحمن الثاني الأوسط (٢٠٦هـ،٨٢٢م /٢٣٨هـ،٨٥٢م) هو أول من ضرب العملة و لعل هذا الخطأ يعود بالدرجة الأولى إلى عدم اطلاع الباحثيين على ما نُشر بلغات أوروبية عن مجموعات النقود التي تحتفظ بها بعض المتاحف الأوروبية ، ففي مجموعة معهد seminario de Historia primitiva del Hombre madrid

درس أحد الباحثين هذه المجموعة و فيها درهم ضُرب بالأندلس سنة ١١٦هـ /٧٣٤م كتب عليه بالعربية بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدرهم سنة عشرة و مائة

وهي السنة التي تداول فيها على حكم الأندلس واليان عبد الملك بن قطن الفهري تولاها من سنة (١١٤-١١٦هـ/٧٣٢-٧٣٤م) ، و عقبة بن الحجاج السلولي تولاها من سنة (١١٦-١٢٣هـ/٧٣٤-٧٤١م)

بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدرهم بالأندلس سنة خمس و ثلاثين و مئة ١٣٥هـ أي خلال ولاية عبد الرحمن الفهري تولاها من سنة (١٢٩-١٣٨هـ/٧٤٦-٧٥٦م) .

و هناك نقود ضُربت في عهد مؤسس الإمارة الأموية الأمير عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل (١٣٨-١٧٢ هـ/٧٥٥-٧٨٨م) سنة ١٥٣هـ-٧٧٠ م وسنة ١٧٠ هـ-٧٨٦م و هناك نقود ضربت في عهد الأمير الحكم بن هشام الملقب بالربضي(١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢٢م) نقود ضربت سنة ١٨٧ هـ-٨٠٢ م و أخرى سنة ١٩٦هـ-٨١١ م) .

كل هذه الأدلة الأثرية تشكك فيما يزعم ، بأن الأندلس لم يكن لها عملة منذ أيام الفتح الإسلامي حتى نهاية عهد الأمير الحكم بن هشام و أنهم كانوا يتعاملون إما بقطع قرطبة أو بعملات ذهبية و فضبة مجلوبة بكميات ضئيلة بواسطة التجار و المسافرين القادمين من إفريقية أو الشرق الإسلامي.

و في سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م كما ينص على ذلك ابن حيان افتتح الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/٩١٢-٩٦١م) دار السكة لمدينة قرطبة و أمر بضرب العين من الدنانير و الدراهم ، و السكة هي الحديدة يُطبع عليها الدينار و الدرهم فسميت سكة بها الدينار و الدراهم

يرجح أحد الباحثين أن دار الضرب المنسوبة للأمير عبد الرحمن الأوسط و التي ذكر ابن الفقيه أنها كانت تقع بباب العطارين بقرطبة أسست في عهد الأمير عبد الرحمن الأول و من المحتمل أن الأمير عبد الرحمن الأوسط اقتصر دوره على تجديد الدار و توسعتها فقط لا غير .

يبدو أن دار الضرب تأثرت سلبيا بأوضاع الأندلس المضطربة في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري (أواخر القرن التاسع الميلادي المضطرب بسلسلة لا نهاية لها من الثورات و الفتن) ، وفي سنة ٣١٦ هـ/ ٩٢٦ م بعد عودة الهدوء والاستقرار في عهد الخلافة كما ينص على ذلك ابن حيان ، افتتح الخليفة عبد الرحمن الناصر ،٣٠٠-٣٥٠هـ دار السكة لمدينة قرطبة و أمر بضرب العين من الدنانير و الدراهم .

ومنذ ذلك الحين أصبحت لدار السكة شخصيتها القائمة بذاتها ، ذلك أننا لم نسمع بذكر متولي السكة طيلة العهود التي سبقت عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، غير أنه في عهده أصبح هناك مسؤول عن دار السكة أي موظف في الدولة أو صاحب خطة السكة و كان

الخليفة شخصيا هو من يتولى تقليده في منصبه ، وكانت أول ولاية على دار السكة لأحمد بن محمد بن موسى بن حدير

وكان مجموعة من الموظفين و السكاكين المهرة يعملون تحت إشراف صاحب خطة السكة ، ويُشترط فيه أن يكون مُلِمًا بصنعة السكة مع دراية بأنواع الخطوط نزيها دينـا .

فشلت الحكومات القرطبية في فترة الفتنة (٣٩٩- ٤٢٢هـ) في الميدان الاقتصادي ، ولم تتمكن من فرض الاستقرار و الاطمئنان كما كان سائدا في ظل الخلافة المروانية

لكن في المقابل لم يدخلوا تعديلا على طراز النقود فقد بقيت مشابهة للطراز القديم ، لكن من المحتمل أن النقود زيفت خلال القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ، نظرا لكميات الفضة المتداولة بين الناس .

و يمكن تقسيم نقود السنوات الثلاثين الأولى من القرن الخامس الهجري إلى ثلاث مجموعات ، مجموعة الخلفاء الأمويين المتأخرين ، ثم مجموعة الشخصيات غير المعروفة ، والمجموعة الأخيرة تتكون من النقود المزيفة .

و الملاحظ أنه خلال هذا القرن الخامس ظهر تعدد نقدي و كثرة دور الضرب بعد د الإمارات وغلبت الرداء ة على هذه النقود باستثناء نقود بني عباد أجود نسبيا من باقي نقود إمارات الطوائف .

استمرت ظاهرة تعدد دور الضرب في الفترة المرابطية إلا أن أوزان النقود بقيت متقاربة مقارنة بفترة إمارات الطوائف .

كانت ظاهرتي الغش في النقود و فوضى الصرف مستفحلة بسبب تعدد دور الضرب لدرجة جعلت قاضي الجماعة بقرطبة ابن رشد الجد يصرح بما يوحي بالعجز في تغيير هذا الواقع " فأما اليوم فإن الذهب يغش و قد صار لكل مكان سكة تضرب " .

العملة المرابطية :

دخل المرابطون الأندلس ووقفوا على التفكك السياسي الذي كان سائدا في ظل ملوك الطوائف .
و أعادوا الحكم المركزي ، وكان من أولى الثمار عودة وحدة طرز النقود ، وكان أبو بكر بن عمر أول حاكم مرابطي يضرب الدينار .
في سجلماسة منذ سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م،أما خليفته يوسف بن تاشفين فإنه واصل العمل بهذا الدينار دون أن يغير منه شيئا عدا الاسم . وكانت دنانير يوسف بن تاشفين تضرب في سجلماسة و أغمات و في سبتة و مراكش و فاس ، وفي الأندلس ظهرت الدنانير المرابطية

في عدة مدن كقرطبة سنة ٤٨٦ هـ/١٠٩٣م ، وشاطبة منذ سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م ، و غرناطة منذ سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥ م ، وإشبيلية سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧ م ، و مرسية سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨ ، ومالقة منذ ٤٩٤هـ/.١١٠٠م .
أما الكتابات التي نجدها على أول دينار مرابطي معروف في الأندلس فهو كما يلي على الوجه الأول في الوسط " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ، الأمير يوسف بن تاشفين على الحاشية السفلية آية من القرآن الكريم سورة آل عمران ، الآية ٨٥ " ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه "

العملة الموحدية :

أما بالنسبة لسكة الموحدين فإن الأمر لا يخلو من غموض ، فهناك من ينسب الدراهم المركنة أي المربعة إلى أبي عبد الله المهدي القائم بأمر الموحدين ، وكانت الدراهم قبل ظهور الدولة الموحدية كلها مدورة ، فأمر المهدي أن تكون دراهمه مركنة ، فكانت كذلك بحساب عشرين منها في الأوقية و ثلاثة منها في الدينار .
لكن حسب ما ذهب إليه أحد الباحثين ليس من الثابت أن العلمة المركنة من ابتكارات أبي عبد الله محمد بن تومرت مهدي الموحدين والراجح أن عبد المؤمن بن علي أول خلفاء الموحدين هو من ضرب السكة ، و يذهب الباحث الفرنسي ألفريد بل ALFRED BEL إلى أن المهدي لم يضرب العملة و إنما أوصى بضرب النقود المربعة حتى تكون مختلفة عن نقود المرابطين و قد استند ألفريد على خبر أورده ابن خلدون يقول فيه أن مالك بن وهيب حرض الأمير علي بن يوسف بن تاشفين على المهدي بدعوى أنه صاحب الدرهم المربع وتم العثور على نصف قيراط ضربه أحمد بن قيس الثائر على المرابطين في مارتلة بالأندلس ، وقد كتب في وجهه ، "الله ربنا و محمد نبيينا و المهدي إمامنا " داخل مربع ، وكان الدينار مرتفعا أيضا و هو ضعف الدينار العادي في الوزن ، ولهذا عرف باسم Doblaعند النصارى و ضرب الموحدون على أيام أبي يوسف يعقوب المنصور نصف دينار موحدي.

نعمت الأندلس خلال عصر المرابطين و الموحدين بنظام دقيق في النواحي المالية و كانت العملة المرابطية و الموحدية فيما بعد لهما ثقلهما في المجال الاقتصادي و حازت على ثقة الدول المعاصرة لها ، فالدينار المرابطي كان له انتشار واسع و تداول كبير ، فانتشر مع نهاية القرن الحادي عشر بين دول الغرب المسيحي و ظهر في إسبانيا و فرنسا و ألمانيا و إنجلترا و قيل أنه وصل للقسطنطينية، كما شاع التعامل به حتى في الكنيسة فقد عُثر على دنانير مرابطية في دفائن دير Del Caup جنوب مدينة تولوز ، و في قبر بروسانت رومان ، ومجموعها ٦٥ دينارا من إصدارات إفريقية و وصلت سمعته حتى الصين فكان بمثابة دولار العصور الوسطى ، و عرف الدينار المرابطي في القشتالية القديمة و البرتغالية باسم Metcal metical mitical K ، وكلها صيغ مشتقة من مثقال العربية ،و مصطلح

Marabotin ظهر أول مرة في إسبانيا سنة ٤٧٧هـ /١٠٨٤ م ، و المرابطون الذين توسعت رقعة إمبراطوريتهم وسيطروا على مناجم الذهب في غـانا و على تجارة القوافل عبر الصحراء سكوا دنانيرهم من الذهب الخالص ، وكان عليه إقبال كبير في الداخل و الخارج لدرجة أن ألفونس الثامن ملكة قشتالة و ليون تأثر به فضرب دنانير على شاكلته سنة ١١٧٣عُرفت باسم Le morabeti alfonsi ، وأما النقود الفضية الموحدية فتركت أثرا عميقا في عملات العالم المسيحي الغربي ، وحازت على إعجابهم ، فقلدوها و ضربـوا نقودا على غرارها عرفت باسم المـليار أو Milliars،

<u>دور السكة :</u>

أفادتنا نوازل العصر بمعلومات عن انتشار دور السكة في الأندلس بعد انهيار الخلافة الأموية بقرطبة ذكر ابن الحاج دار سكة قرمونه و فيها ضربت العملة القرمونية ، وأشار ابن رشد إلى وجود دار سك العملة في إشبيلية ، أيام دولة بني عباد و انتشرت في شرق الأندلس دور للسكة نسبت إليها العملة الشرقية ، وقد انتشرت في عصر ملوك الطوائف دور السكة ، فبالإضافة إلى ما ذكرته النوازل نجد دارا للسكة في طرطوشة ،ودار السكة في بلنسية بحيث قامت بسك عملات لمملكة أخرى كما تشير إلى ذلك بعض الدراسات ، أما في عصر المرابطين فقد أفادتنا نوازل القاضي عياض بوجود دار للســكة بالجزيرة الخضراء ، كما أشارت إلى ذلك نوازل ابن رشد و تعددت دور السكة في الأندلس في هذا العهد و كانت منتشرة في أغلب المدن مثل:

إشـــــبيلية ،بلنـــسية ، دانيـــه ،شـــاطبة ،قرطـــــبة ، مالقة ، مرسية ،ألمرية ،ألوظة وميورقة

للمحاضرة مصادر و مراجع